[35] الاشعث، وحضهم على طاعة عبد الملك، وتكلم رجل من أهل البصرة، يقال له سلمة المنقرى، من بني تميم، وكان رجلا منطيقا، وله هوى في الخوارج، وكان الحجاج به خابرا. فلما رآه عرف أنه يريد الكلام. فقال له: ادن يا سلمة، فدنا. فقال له: قل: رضينا باﷲ ربا، وبمحمد نبيا، وبالاسلام دينا، وبالقرآن إماما، وبأمير المؤمنين خليفة، وبالحجاج بن يوسف واليا. قال: واﷲ لو كنا زمعا وبنى زمع ما رضينا أن نكون تبعا لهذا الحائك، أمير المؤمنين أعزه اﷲ، وأعز أمره، أقرب قرابة وأوجب حقا، ونحن ألزم لطاعة الامير، أكرمه اﷲ، من أن نسارع له في معصية أو نبطئ عنه في طاعة، فأجابه الحجاج فقال: يا سلمة، هذا قول حسن، لا أدخله صدري، ولاردنه في نحرك، حتى نبتلى حقيقته إن شاء اﷲ، وكان قوله هذا على المنبر، وقد عسكر بأجناده بالزاوية، والزاوية في طرف من ناحية البصرة في طرف بن تميم. ثم إنه خرج من المسجد، وحشد الناس من كان في الطاعة يومئذ من أهل العراق، وقد كان انهزم لابن الاشعث غير ما مرة، وقتل له ابن الاشعث خلقا لا تحصى كثرة، قبل هذه المرة، حتى يئس من نفسه وقال: أترون العجوز، ابنة الرجل الصالح كذبتني ؟ يعنى أسماء بنت أبي بكر الصديق، لئن صدقت أسماء لا أقتل اليوم. وكان الحجاج لما فرغ من قتال عبد اﷲ بن الزبير، بعث إلى أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق أن تأتيه، فأبت أن تأتيه. فقال: واﷲ لئن لم تأتني لابعثن إليها من يجر بقرون رأسها، ويسحبها حتى تصل إلي، فقيل ذلك لها. فقالت: واﷲ لا أسير إليه حتى يبعث إلي من يجر بقرون رأسي. فأقبل الحجاج حتى وقف عليها، فقال لها: كيف رأيت ما فعل اﷲ تعالى بابنك، عدو اﷲ ؟ الشاق لعصا المسلمين، المفنى لعباده والمشتت لكلمة أمة نبيه ؟ فقالت: رأيته اختار قتالك، فاختار اﷲ له ما عنده، إذ كان إكرامه خيرا من إكرامك. ولكن يا حجاج بلغني أنك تنتقصني بنطاقي هذين، أو تدري ما نطاقاي ؟ أما النطاق هذا فشددت به سفرة رسول اﷲ صلى اﷲ عليه وسلم يوم غزوة بدر، وأما النطاق الآخر، فأوثقت به خطام بعيره. فقال لي رسول اﷲ صلى اﷲ عليه وسلم: أما إن لك به نطاقين في الجنة، فانتقص علي بعد هذا أودع، ولكن لا إخا لك يا حجاج، أبشر فإني سمعت رسول اﷲ صلى اﷲ عليه وسلم يقول: منافق ثقيف يملا اﷲ به زاوية من زوايا جهنم، يبيد الخلق، ويقذف الكعبة بأحجارها، ألا لعنة اﷲ عليه ! فأفحم الحجاج ولم يحر جوابا. قال: وسار ابن الاشعث بعد ما هزم الحجاج مرارا إلى الكوفة حتى نزل دير الجماجم، فقتل للحجاج فيه خلق كثير، وكتب إلى عبد الملك بن مروان أن أمدني بالرجال، قال: فأمده بمحمد بن مروان في أناس من بني أمية كثير، وجعل الحجاج أمير عليهم، فسار الحجاج إلى ابن الاشعث،

فافتتلوا أياما بدير الجماجم، حتى كثر القتل في

_____ (1) الزمع بفتح الزاى والميم: أراذل الناس.

_____ (*)